الباب الثالث

الأدوار والاستراتيجيات

مكونات القوة

تعددت آراء الكتاب والمفكرين حول عناصر القوة بتعدد المجالات التي تم تناولها، فمنهم من ذهب إلى العناصر المادية، وآخرون تناولوا العناصر المعنوية، ومنهم من جمع بينهما والعناصر المادية يمكن قياسها كمياً في حين أن العناصر المعنوية يتعذر القياس الكمي فيها وطرح أورجانسكى ستة مكونات للقوة السكان والتطور السياسي والتطور الاقتصادي والمعاني الوطنيةوالموارد وجغرافية الدولة في حين طرح راى أن القوة الوطنية للدولة هي محصلة حجمها الجغرافي –النمو السكاني – الموارد الوطنية والصناعية – المنظمات العسكرية وإستراتيجيتها وطموحها.

في حين ذكر جون أن مكونات قوة الدولة (القوى السياسية وتفردها على المستويين المحلي والدولي ،وخصائص وطبيعة السكان والأخلاق والتعليم) وقد حدد وندزل ثمانية عناصر لقياس قوة الدولة : الموقع الجغرافي - السكان - الموارد الطبيعية-القوى الاقتصادية- القوة العسكرية - الوظائف الحكومية - خصائص المجتمع -صانع القرار ويرى نعيم الظاهر أن قوة الدولة تتمثل في:

١- القوة الحيوية وتشمل: حجم السكان – معدل النمو السكاني – الكثافة السكانية – معدل الخصوبة– العمر المتوقع للحياة٠

٢- القوة الاقتصادية وتشمل (الناتج القومي -متوسط نصيب الفرد من الدخل القومي) ٠

٣-نسبة التضخم(الزيادة في الأسعار - وانخفاض قيمة النقد المحلي)٠

٤-الميزان التجاري :ويمثل الفرق بين الصادرات والواردات، فكلما زادت الصادرات زادت قوة الدولة٠

٥- متوسط نصيب الفرد من الطاقة الكهربائية : فهو يعني وفرة وسائل الراحة للفرد٠

٦- القوة العاملة في الصناعة والزراعة :فهو مؤشر على قوة الأمن الغذائي، فإذا زادت القوى العاملة دل ذلك على قوة الدولة٠

٧- نسبة الأراضي الزراعية :لأنه يرفع من قدرة الدولة على الاكتفاء الذاتي والتعزيز ويحقق أمنها الغذائي٠

القوة الصحية :وأهم متغيراتها (وفيات الأطفال الرضع- نسبة من تتوفر لهم الرعاية الصحية- توفر المياه النقية- نصيب الفرد من السعرات الحرارية- عدد المرضى لكل سرير- عدد المرضى لكل طبيب)

القوة التعليمية : (النسبة المئوية لمن يجيد القراءة والكتابة- مقر التحاق الطلبة بالتعليم الأساسي والعالي- عدد الدوريات الصادرة في الدولة- نسبة الإنفاق على التعليم)٠

القوة الاجتماعية : (نسبة سكان الحضر إلى المجموع الكلي للسكان - نسبة السكان دون خط الفقر إلى إجمالي عدد السكان- نسبة المواطنين لكل سيارة- عدد أجهزة الهاتف لكل ١٠٠٠ نسمة- عدد المطارات في الدولة- عدد أجهزة الراديو لكل ١٠٠٠ نسمة)٠

القوة العسكرية :(نسبة القوى البشرية الاحتياطية إلى مجموع السكان- نسبة الإنفاق الحكومي على القوات المسلحة من الدخل القومي- مدى استقرار الجبهة الداخلية- عدد تجارب القتال الفعلية)٠

وهناك من يقيس قوة الدولة بواسطة الجمع بين العوامل المادية والمعنوية في حين يعد نموذج مورجينثوه رائد المدرسة الواقعية التي أكدت فهم القوة كما هي عليه، لا كما يجب أن تكون عليه وبذلك اعتبرت التاريخ مادة أساسية لتأكيد صحة تشخيصها بأن هناك جوهراً للسياسات الدولية يتم عن طريق واحد هو القوة وهو الأفضل، حيث جمع العديد منلمتغيرات البناء ومتغير القوة متغير سببي في السياسات، فهو يعتبر القوة القدرة على التأثير في أفكار وتصرفات الآخرين فالقوة لديه تتألف من تسعة عناصر:

obeikandi.com

١- جغرافية الدولة :ويصف علاقتها بالقوة بقدرة الدولة على حماية أراضيها من أي نوع من أنواع التهديد.

٢- الموارد الطبيعية :وتتعلق بقدرة الدولة على إنتاج الأغذية والمواد الخام اللازمة للاقتصاد الصناعي والقوة تكمن في قدرة الدولة على الاكتفاء الذاتي.

٣- القدرة الصناعية :وتتعلق بقدرة الدولة الصناعية اعتمادا على الموارد الخام ومصادر الطاقة .

٤- الاستعداد العسكري :ويعتبرها عنصراً مهماً في قوة الدولة وتتمثل في التقنية العسكرية ، القيادة العسكرية، كمية وجودة القوات المسلحة.

٥- السكان : وتتمثل في العدد الإجمالي للسكان والكثافة السكانية والتركيب التعليمي ، التركيب الاجتماعي، اللغوي، القوى العاملة .

والعناصر الخمسة السابقة تمثل العناصر المادية والأربعة التالية تمثل العناصر المعنوية

٦- الشخصية الوطنية: ووصفها مورجينثوه بأنها تمثل النمط الحضاري للدولة الذي يُظهر نوعية التفكير والانطباعات عن دولة معينة تميزها عن دولة أخرى وأعطى مثالاً لذلك بقوة الروس مقارنة بالأمريكان الذين يتميزون بالمبادرة والإبداع ،وتشدد البريطانيين، والانضباط الشامل لدى الألمان، ويرى رابطاً حضارياً بين القوة الوطنية والشخصية الوطنية ويرى صامويل هنتجتون في كتابه صراع الحضارات أن الحضارات

المختلفة لها قيم مختلفة، فالحضارة الغربية رغم عالميتها إلا أنه لا يمكن قبولها من الدول غير الغربية ويرى شوكت سعدون أنها أحد عناصر قوة الدولة وتشكل سمات عامة للشعوب ففي العلاقات الدولية الشخصية الوطنية قد تفشل في تحقيق نتائج على المستوى الدولي، فالحضارة كمصدر من مصادر القوة الناعمة تكون فعالة عندما تكون مصدر جذب لإعجاب الآخرين

٧- الإرادة الوطنية : فالإرادة الوطنية تعتمد علي البنية الموهوبة وعناصرها تتمثل في الترابط الوطني، القيادة، الثقة في الحكومة، الاهتمامات الشعبية بالاستراتيجيات الوطنية، فهي تفوق الإرادة الشخصية بأنه يمكن ملاحظتها في جميع أنشطة الدولة الصناعية، الإنتاجية،الزراعية ويرى مورجينثوه أنها متغيرة بطبيعة الظروف والأحوال ويتساءل عن كيفية قياسها ويرى أنها تتمثل في قدرة واستيعاب الحكومة الوطنية، فالحكومات الأوتوقراطية لا تأخذ في حساباتها اهتمامات المواطنين، ويغيب ذلك في سياساتها العامة فالوحدة الوطنية تعتمد على قيم سياسة موحدة للمواطنين والحكومة فالحكومة التي تأخذ بالاعتبار طريقة تفكير مواطنيها ويهمها رأيهم العام فإنه يزيد من جاذبيتها على المستويين الدولي والمحلي وهذا أحد مكونات القوة الناعمة.

٨- جودة الدبلوماسية: الدبلوماسية من أهم عناصر القوة الوطنية فهي تعد محفزة لعناصر القوة الأخرى ووسيلة لتحقيق الأهداف الوطنية وتحقيق التوازن بين سياسات الدولة وقوتها ومن الصعب تقويم مدى جودة دبلوماسية الدولة مباشرة، ولكن هناك طريقتين غير مباشرتين لتقويم مدى جودة الدبلوماسية ،الأولى تعتمد على عدد الدول الرئيسية التي يمكن للدولة أن تستقطبها والثانية تعتمد على الجدارة الدبلوماسية،والجدارة الدبلوماسية تتكون من:

أ وضع سياسات تتفق مع قوة الدولة

ب تقويم أهداف الآخرين وقوتهم

ج تقويم مدى التوافق بين سياسات الدولة وسياسات الدول الأخرى

د اختيار الطرق الملائمة التوافق ، المعارضة، التهديد بالقوة لتحقيق أهدافها الوطنية.

وعليه لتحقيق دبلوماسية ذات جودة وفعالية لابد للدولة أن تخلص سياساتها من روح العداء للآخرين وتبدي حسن الجوار والتوافق بعيداً عن التهديد والإرغام.

ولعل التساؤل كيف تسهم جودة الدبلوماسية في توليد القوة الناعمة للدولة في سياساتها الخارجية ؟ عامة يمكن للدولة تحقيق ذلك من خلال الاهتمام بالديمقراطية وحقوق الإنسان في شكل ملائم والقوة الناعمة تكمن في قدرة الدولة على تحقيق التعاون مع الدول الأخرى بعيداً عن

الإغراء أو التهديد ولعل أهم وسائل القوة الناعمة هو مشاركة الدولة في القضايا العالمية بفعالية وجدارة، مما يكسبها الريادة والتقدير العالمي.

٩- جودة الأداء الحكومي : فالأداء الحكومي آخر مصادر القوة الوطنية، فقد اقترح ثلاث وسائل لتقويم الأداء الحكومي:

أ التوازن بين الموارد البشرية والمادية التي تشكل القوة الوطنية.

ب التوازن بين مصادر القوة.

ج الدعم المحلي لسياسات الدولة الخارجية.

ويرى مورجينثوه أن الحكومة ذات الأداء الجيد تتصف بما يلي:

أولاً :تحدد أهدافها بدقة ووسائل تحقيقها والدعم اللازم لنجاح سياساتها.

ثانيا :الدولة تحتاج لمزيج من المصادر حتى تزيد قوتها وأن تستغل إمكانية ما يسمى بالرصاصة السحرية لقوتها الوطنية.

وثالثاً : إن مكونات الدعم الشعبي هي تأييد الشعب للسياسات التي تحتاج إليها الحكومة في تحريك القوة الوطنية لتحقيق الأهداف الخارجية وبناء علي ما سبق فإن قدرة الدولة على تحويل قدراتها وما تمتلكه من مصادر قوة إلى قوة تأثير يزيد من قوتها الناعمة وطرح روبرت دال نموذج سلوكي لتقويم القوة ويعنى بتغيير سلوكيات الأطراف المشمولة في علاقات القوة والقوة توجد عندما تتواجد ثلاثة عوامل هي:

أ أن يكون هناك نزاع على أهداف معينة.

obeikandl.com

ب أن يوافق أحد الطرفين على مطالب الطرف الآخر ولو على كره منه.

ج تفترض علاقة القوة أن أحد الطرفين قادر على إنزال عقوبات يعتبرها الطرف الآخر كفيلة بإلحاق أضرار بالغة ولابد أن يكون ثمن عدم إذعانه لمطالب الآخر أكبر مما س يفقده نتيجة إذعانه وهذا النموذج يقيس القوة اعتماداً على أنشطة طرف معين ليؤثر في الطرف الآخر للوجهة المقصودة وهذا يستدعى من الطرف المؤثر الخطوات التالية:

١- تحديد أهدافه في محاولة التأثير في الطرف الآخر، وتحديد المذهب أو العقيدة التي ينوي نهجها لإحداث ذلك التأثير، واستخدام أدوات القوة المتاحة لديه ، ومن ثم الاستعداد والتهيؤ.

٢- الشروع في التحليل وتقدير سلوكيات الطرف الآخر تجاه ما اتخذه الطرف المؤثر.

٣- وتحتاج هذه الخطوة إلى تحليل تصرفات الطرف الآخر، وتفاعلها مع ما يتخذه الطرف المؤثر من تصرفات، ومدى إسهامها في تحقيق النتائج المطلوبة.

القوة المدنية، والدور الإنساني: تراجع المد الفكري، وتعثر التحول الديمقراطي، وتفكيك المجتمع المدني، والهيمنة الحكومية على العمل النقابي، وتعويق الفعل السياسي والاحتجاج، وتقييد حرية الرأي

والتعبير، كلها أسباب تفت في عضد القوة المدنية التي هي منبع القوة الناعمة .

تعد القوة الاقتصادية والخبرة السياسية والزخم الفكري والأيديولوجي والعلمي والثقافي والإبداعي مقومات مركزية ومصادر للقوة الناعمة، لكن الذي يغيب أحيانا عن التحليل أنها كلها تبني على أسس وموارد مدنية فى الأساس، أي أنها ترتكز على قوة اجتماعية، لذا فالمشكلة التي نواجهها هي أن تراجع المد الفكري،وما سبق ذكره كلها تفت في عضد القوة المدنية التي هي منبع القوة الناعمة؛ لذا فإن خيار القوة الناعمة ليس خياراً بسيطاً لصانع السياسة الخارجية بل هو خيار إستراتيجي لصانع القرار السياسي والسيادي، ولا شك أن نضوب موارد التمدن، وتشرذم القوى الاجتماعية، وملاحقة قوى التغيير وتغييبها تؤثر سلباً على الإمكانات المدنية التي تستقي منها القوة الناعمة قوتها.

ويعجز النظام في المواقف والأزمات المختلفة عن إدارك مكامن قوته الناعمة، ولا يميز بين حسابات الاستقرار ومقومات الاستمرار، التي قد تتعارض إذا لم يتم حسمها بدقة وحساسية بالغة، من هنا فإن الاعتبارات الأمنية، وإحكام القبضة على مفاتيح التغيير، وتعويق التحول المدني والديمقراطي، والتضييق المستمر على حرية التعبير تنذر على المدى المتوسط والبعيد بإهدار القوة الناعمة التي تملكها الدولة.

القوة الناعمة وإحياء السلام (الصين نموذجاً)

من كلمات الإمبراطور الإعلامي روبرت موردوخ (أسرع طريق لرفع مبيعات صحيفة ما، هو وضع الصين على صفحاتها الأولى) وفي ظل نموها الاقتصادي السريع، أصبحت الثقافة الصينية محل اهتمام وتسليط الضوء أكثر وأكثر من طرف الدبلوماسية العامة، وازداد انتشار نفوذها في العالم تدريجياً ووفقاً للإحصاءات، وقعت الصين مايقرب من ٨٠٠ خطة تنفيذ لاتفاقية حكومية حول التعاون والتبادل الثقافي مع ١٤٥بلداً، كما أن الآلاف من المنظمات الثقافية تحافظ على علاقات التعاون الوثيقة، والقيام بأنشطة ثقافية كثيرة ويجري حالياً تنفيذ مجموعة من المشاريع التجارية الثقافية،كالأسواق وزيادة مشاريع تجارية وصناعية ثقافية عاماً بعد عام،وتوسيع قنوات الصادرات الثقافية الصينية تدريجياً٠

يعتبر السلام هو الهدف الرئيسي للجهود التي يبذلها رسل الثقافة الصينية ،وبصوت عال يوصلون دور الثقافة الصينية في صنع السلام في العالم والثقافة تسير لمسافات طويلة دون حدوث ضجيج وتلعب الثقافة الصينية دوراً هاماً في الاتصالات بين البلدان والحكومات والأمم المختلفة،كما لها دور في تعزيز رسالة الصداقة والتفاهم ، وتقليل الشكوك،لكسب التأييد والتقدم المشترك ومع ذلك ،نرى بوضوح ان بعض تلك الأصوات المهتمة بالصين ليست جميعها ثناء وتوقعات،بل

العديد منهم يعاني من فجوة الاختلاف الثقافي،وسوء الفهم بسبب حواجز الاتصال،والانحياز بسبب إيديولوجية ومسار التنمية المختلف وفي ظل النمط العام للثقافات في العالم،والعقبات،والقراءة الخاطئة،والتحيز،فإن هناك اختلاف في الخطاب الصيني الغربي،ولا تزال القيم الغربية غالبة على الرأي العام الدولي كما أن التبادل الثقافي الصيني الأجنبي،لا يزال يعاني من العجز التجاري في المنتجات الثقافية ،وتأثير الثقافة الغربية لا يزال كبيراً ويمكن أن نرى بوضوح أن ذلك لا يتناسب مع القوة الوطنية الشاملة المتنامية للصين،ولا يتناسب مع مكانتها الدولية باعتبارها دولة كبيرة مسؤولة.

إن الثقافة تقولب روح الشعب ،وتصنع روح الدولة وباعتبار الثقافة القوة الناعمة، فهي ليست فقط للمثقفين،وحتى يمكنها لعب دور أكبر من القوة الصلبة التي تشمل القدرات الاقتصادية والتكنولوجية والعسكرية عليها أن تكون أساس المودة والمنطق وتصبح مثل جنود بدون قتال،حيث تسمى الثقافة أيضاً قلم واحد بقيمة ألف سلاح ولقد أصبح العالم كله يسعى إلى معرفة المزيد عن الصين ،وأكثر حرصاً على فهم الصين الحقيقية ولتلبية هذه الرغبات، ينبغي أن تكون الثقافة هي المفتاح، والاعتماد على الثقافة للاتصال،وبالجهد المتواصل يحقق النجاح لكن في هذا الصدد، فإن المهمة الصينية شاقة وقوة الاتصال تقرر مدى التأثير، ومدى التأثير يقرر حق الكلام في الوقت الحاضر، فأن

قدرة التواصل مرتبطة مع الوسيلة المتقدمة للاتصال، ومن لديه الأفكار القيمة والثقافية ،يمكن تعميمه على نطاق واسع، ومن لديه القدرة على السيطرة لديه حق الكلام٠

استراتيجيات وتكتيكات الحرب الناعمة

إن الحرب الناعمة كأي حرب لها إستراتيجياتها وتكتيكاتها وأسلحتها، بمعنى أنها ليست فكرة أو مذهباً أو مخططاً تجريدياً، وقد حاولنا جمعها وتلخيصها من مصادرها الرسمية وهي منقولة بصورة حرفية وشبه حرفية عن وثائق ومستندات أمريكية[١]:

أ ـ نماذج لاستراتيجيات الحرب الناعمة:

١ـ الاستنزاف المتواصل لطاقات الخصم وسلب حيويته وإشعاعه وعموماً ضرب وإضعاف موارده الناعمة [٢] .

٢ـ الضغط والتشهير المتواصل على مرتكزات ورموز وملامح وصورة ونفسية وعقل الخصم بدون أي توقف بهدف تحقيق الإرهاق والإرباك وخلخلة الأركان٠

١ـ مثل كتاب القوة الناعمة / مقالة القوة الناعمة ضد إيران لجلاسماتن ودوران / دراسة مایاكل آيزنشتات / كتاب ارث من الرماد الذي أرخ لتاريخ CIA / وغيرها من المصادر والوثائق٠

٢ـ هل يكون التصوّف هو القوّة الناعمة لاختراق الإسلام ٠

٣- الدعم العلني لتيار على حساب تيار آخر والتقييم الفئوي لساحة الخصم بهدف خلق بيئة من الاتهامات المتبادلة وإيجاد فرز واستقطاب يسمح بالتلاعب.

٤- استغلال نقاط الضعف في بعض القيادات في جبهة الخصم لخلق توترات وعداوات مع الشخصيات المنافسة وتسعير حمى الصراع عبر تسريب الإشاعات والأخبار وتضخيم صورة بعض الشخصيات خاصة المعارضة وصناعة نجوميتها الإعلامية والجماهيرية.

٥- خلق بيئة سياسية وشعبية وإعلامية متوترة من خلال الجدل والمناقشة في قضايا وموضوعات فكرية وسياسية حساسة تؤدي إلى إحداث تناقضات وحساسيات بين الفصائل المختلفة ففي إيران مثلا يتم التركيز على موضوع ولاية الفقيه ومواصفات وصلاحيات الولي ومصدر شرعيته.

٦- استدراج التيارات الإسلامية إلى الملفات العامة وإبعادها عن هدفها في مواجهة الغرب وإثبات فشل وقصور نظم الحكم والإدارة الإسلامية عن تلبية الاحتياجات والمتطلبات الدولية والسياسية المعاصرة.

٧- ضرب وتشويه صورة علماء الدين والمؤسسات الدينية بهدف

تقليص دورهم والعمل على إدخال تعديلات على المناهج الدينية وإضعاف الفكر الديني.

٨- تعديل وظيفة المساجد وتحويلها من قواعد دعم للتدين إلى قواعد لبث التسامح والاعتدال من وجهة نظر أمريكا والغرب.

٩- إبراز مخالفة النظم والحركات الإسلامية لمواثيق ومقررات الأمم المتحدة ومنظومات الأمن والسلام الدوليين ومقتضيات حقوق الإنسان وقيم التسامح الديني وتبنيها للعنف والإرهاب كمنهج وإستراتيجية.

١٠- دعم تيار ما يسمى بالإسلام المعتدل وإيجاد شبكة إسلامية دولية مرتبطة بالغرب تعمل وفق الضوابط الأمريكية والغربية وترويج إسلام أمريكي وغربي .

١١- تقليص الوجود العسكري وزيادة الوجود المدني والإعلامي والمخابراتي في العالم الإسلامي.

ب - نماذج تكتيكات الحرب الناعمة

١- تنويع مصادر البث الإعلامي وخلق ونشر قنوات ومؤسسات إعلامية شعبية خاصة على شبكة الإنترنت حيث تقل إمكانيات الرقابة الحكومية، ويسهل استدراج الشباب، وهذا ما اسماه جارد كوهين رئيس قسم

التخطيط السياسي في وزارة الخارجية الأمريكية بسياسة الديمقراطية الرقمية حيث أن الشباب والنساء في الشرق الأوسط قد أصبحوا ناضجين لتقبل تأثير السياسات والأفكار الأمريكية من خلال بوابات ومنافذ تكنولوجيا الاتصال والإعلام

٢ـ زيادة صدق الحملات الإعلامية من خلال البحث عن شخصيات لها نوع من الثقة والقبول الجماهيري خاصة من المعارضين والمنشقين عن النظم والحركات الإسلامية.

٣ـ إنشاء ودعم جمعيات ومؤسسات مدنية وشبابية ونسائية وثقافية تحت شعار قوى المجتمع المدني لإضعاف القوة المعادية وإيجاد بدائل لها على المدى البعيد، وذلك بموجب قانون أمريكي يدعم المنظمات الديمقراطية والشبابية .

٤ـ فتح قنوات الاتصال السياسي والدبلوماسي مع الحركات الإسلامية المركزية بهدف استدراجها وتوريطها وتلطيخ سمعتها ونزع الثقه منها في الشارع العربي والإسلامي عبر زيادة ورسم الشكوك حولها وتسعير الحساسيات مع نظرائها تماماً كما يدور الحديث الآن عن لقاءات بين الإخوان المسلمين وأمريكا لعقد صفقة شاملة لتسليمها الحكم في العالم العربي.

٥- تركيز الضوء الإعلامي على الشخصيات ذات الأفكار المتطرفة بهدف بث التفرقة وإشغال المذاهب والفرق الإسلامية ببعضها.

٦- استقطاب الشخصيات الليبرالية ذات الأفكار الالتقاطية ودعمها بهدف إضعاف تأثير الحركات الإسلامية المناهضة للقيم والسياسات الغربية.

٧- تدريب أفراد وشبكات ومؤسسات للتحرك على شبكة الإنترنت بهدف رفد القنوات الإعلامية العالمية بالمادة المطلوبة للتشهير والتشويه وقد صدر قانون الكونجرس الأمريكي لتقديم الدعم لضحايا الرقابة على شبكات الإنترنت.

٨- توسيع الفرص الاقتصادية واستقطاب المهاجرين وتقديم المنح الدراسية لجذب الشباب المسلم نحو المال والأعمال والتخصصات العلمية وصرفه عن الالتحاق بالشبكات ومجموعات الجهاد.

٩- زيادة برامج تدريب الضباط المسلمين وتفعيل العلاقات مع قادة الجيوش الإسلامية.

١٠- تفعيل شبكة العلاقات مع أبناء الجاليات المسلمة والمغتربين المسلمين المقيمين في الغرب بهدف إشراكهم في برامج لزيادة التأثير في شعوبهم ودولهم.

وسائل الحرب الناعمة وآليات العمل

تعتمد الحرب الناعمة كأى حرب صلبة على بعض الأدوات منها:

١-الإعلام والاتصالات: يقول جوستاف لوبون: من هنا خطورة إدمان وسائل الاعلام والتعرض السلبي لهائل ،فالتكرار والتأكيد يصنعان التصورات والمعتقدات خاصة إذا ما شحنّا بجرعات عاطفية ومؤثرات بصرية إيحائية فوسائل الإعلام والاتصالات صاحبة الأمر المباشر الذي تستخدمه اليوم الحرب الناعمة في أوسع نطاقها بعناوين مختلفة فايس بوك، تويتر، ووسائل الاتصال المختلفة، والتلفزة، والقنوات الفضائية العالمية، وهكذا، يقول المحلّل الأمريكي مايكل آيزنشتات: يجب إثارة التساؤل الدائم عن عدم استقرار النظام في إيران، وأنه غير صالح للبقاء على المدى الطويل، وزرع الشكوك بين النظام الحاكم وبين المنظمات المرتبطة به في المنطقة، وينبغي بث معلومات تقلّل من أهمية الانجازات النووية الإيرانية، أي أنَّ وسائل الإعلام والاتصال لها وظيفة التكرار للقصة التي تريد نشرها، وضخ المعلومات الكثيفة من أجل أن تؤثر على بعض الشخصيات وعلى الناس، وأن يصبح ما تنشره هذه الوسائل هو الحقيقة التي يجب تبنيها والتعويل عليها جوزيف ناي يقول: إن مصانع هوليود بغض النظر عن فسادها، وعدم نظافتها فهي أكثر ترويجاً للرموز البصرية للقوة الأمريكية الناعمة من جامعة عريقة كجامعة هارفرد، ذلك

أن الإمتاع الشعبي بالأفلام الأمريكية –الجنس والعنف والابتذال- كثيراً ما يحتوي على صور ورسائل لا شعورية عن الفردية وحرية الخيّار للمستهلك وقيم أخرى لها رسائل سياسية مهمة ومؤثرة عندما يتحدثون عن هذه الحقائق بشكل واضح وصريح، فهم لا يُخفون أنَّ ما تنتجه وسائل الإعلام وهوليود والمواقع المختلفة، يستهدف استكمال خطة الحرب الناعمة لتحقيق الإستمالة والجاذبية التي يؤثرِّون من خلالها.

بعض الإحصاءات الميدانية تكشف أنَّ الجمهور يتعرض لوسائل الإعلام بمعدل ٣-٤ ساعات يومياً، أي ما يوازي ١٠٠٠ ساعة سنوياً، مقابل ٨٠٠ ساعة يقضيها التلامذة والطلاب في المدارس أو الجامعات في مدارسهم أو جامعاتهم كل سنة، ولنا أن نتصور مدى التأثير علماً بأنَّ ما يتلقونه من وسائل الإعلام يتم برغبةٍ وشوقٍ ومحاولة تقليد وتفاعل، ونعلم أن أكثر المسلسلات أو الأفلام التي تعرض هي في الواقع أفلام هادفة ،حتى بعض الأفلام التي تبتغي الربح التجاري المبتذل فإنَّها جميعها تؤدي دورها في الحرب الناعمة فعندما يصوِّرون لنا امرأة متزوجة تخون زوجها، ويبرزون التعاطف معها بسبب ظلمه لها، إلى درجة يشعر معها المشاهد بأنَّ خيانتها مبرَّرة، لأن زوجها أخطأ معها وظلَمها، فهذا تثقيفٌ على تلقي الخيانة والاعتياد عليها كحالة طبيعية في الحياة وفي العلاقات بين الناس وعندما يروّجون للحرية من خلال الفساد والإنحلال والطريقة المبتذلة في اللبس، والأداء المفضوح في العلاقات

بين الجنسين، وبشكل إباحي ومثير للغرائز، فإنما يريدون إثارة الغرائز والأهواء ليخرج الإنسان من ضوابطه وقواعده الثقافية والأخلاقية والدينية، وعندها يتحكمون بمشاعر وتوجّهات الإنسان كيفما شاؤوا، فيعطلون استقامته واتجاهاته الإيجابية ليسلك طريق الانحراف والأفكار الضالّة التي يقودونه من خلالها.

ونلاحظ في كثير من الحالات، عندما يتم ضخٌ إعلاميٌ مكثف لحادثة بسيطة وعادية فتصبح حادثة العالم، بينما تجري جرائم وحوادث خطيرة تمر في نشرات الأخبار كخبرٍ عادي لا قيمة له، كأن يُجرح أمريكيٌ في بلدٍ في العالم في مقابل أن يقتل الآلاف بقصفٍ جويٍ ومدفعي بأدوات الاستكبار، فيكون الخبر الأول في العالم هو جرح الأمريكي، ولأيام عدة، مع كل التفاصيل التي تحيط به، بينما يمر الخبر الآخر بشكل عادي وطبيعي ولمرة واحدة فقط، فإذا ما أُثيرَ من بعض الجهات أو وسائل الإعلام، تمت محاصرته سياسياً وإعلامياً فيختفي مجدداً من التداول إذن تُستخدم وسائل الإعلام والاتصالات من أجل ضخ المفاهيم والمعطيات التي تؤدي إلى تغييب التفكير الصحيح، وإثارة الغرائز والمشاعر، وتوجيه الناس، وهي من أساليب ووسائل القوة الناعمة المؤثرة اليوم.

٢-خلق وتلفيق الحقائق:

بث الشعارات والمفاهيم الخاطئة، وتزيينها وتشويه المفاهيم السائدة هم

يتحدثون عن الحداثة، ويقصدون بالحداثة ترك الماضي بكل ما فيه باعتبار أنه أصبح مرادفاً للتخلف ويتحدثون عن الأسرة ويطالبون بعدم تقييدها بالضوابط المعروفة في إدارتها، لتكون أسرةً حرَّة في إطار المساكنة والإنفاق المشترك، وعدم وجود مسؤول عن الأسرة، لتتحول الأسرة إلى بيتٍ يأوي رجل ومرأة من دون أي تنظيم للعلاقة بينهما ويتحدثون عن نموذج الغرب في كل شيء، في الطعام والشراب، وطريقة الحياة، وطريقة اللباس، ومواكبة الموضة، مما يؤدي في نهاية المطاف إلى تغيير بعض الحقائق ويؤسس لشخصية مختلفة ويطالبون بالحرية الجسدية والملذات بلا حدود، وشرب الخمر حتى الثمالة، وتناول المخدرات حتى ضياع العقل، والتصرف في العلاقات المحرمة دون حدود وضوابط بل بتشريع لها وتقنين، كي تكون متاحة للجمهور بشكلٍ عادي وطبيعي هذه الشعارات تؤدي إلى تغيير بنيوي في طريقة التفكير وفي الحقائق التي يحملها الإنسان، وهنا خطورتها ٠

ومن تلفيق الحقائق ازدواج المعايير التي تنطلق من مصلحة الاستكبار لا من الحق، واليوم إذا قرأتم كل بيانات الأمم المتحدة وأمريكا وأوروبا في أي قضية من القضايا، فإنَّكم لا تجدون: أن الحق الإنساني يقتضي كذا، وإنما التركيز على: أنَّ المصلحة مصلحة المجتمع الدولي، ومصلحة الشعب الأمريكي، مصلحة الدول الكبرى أن تكون كذا، من دون

الاهتمام بمخالفة الموقف للحق؟!

هذا تلفيق للحقائق، ومن واجبنا أن نواجه هذا التلفيق، الذي يكون بإبراز الحقائق على صورتها، وتعريف الناس بالإسلام الأصيل، وإبراز دور المقاومة وأدائها وقضايا منطقتنا المحقَّة، وبالتركيز على منطق الحق لا على المصلحة، ولو أدَّى ذلك إلى مخالفة الإنسان لمصلحته آنياً، هذه عناوين يجب أن نركز عليها ونثبتها، وأن لا نقبل الانتقال إلى المعايير الأخرى التي تخالف الحقوق الثابتة والمشروعة .

٣- التبعية الفكرية:

تحاول المنظومة الثقافية الغربية السيطرة علينا، ليأخذ منَّا الاستكبار من خلال هذه التبعية كلَّ شيء فإذا ما أصبحت أفكارُنا أفكارَهم وقناعاتُنا قناعاتهم، عندها يصبحون الأساتذة ونحن التلامذة، ويصبحون القادة ونحن الرعيَّة، فإذا ما احتجنا إلى تفسيرٍ فهم المفسَّرون، وإذا ما احتجنا إلى توضيحٍ فهم الموضِّحون، لذا فالتبعيّة الفكرية من أخطر ما يصيبنا في الحياة وما لم يتحقَّق التحرر الفكري لشعب ما، لن يحقّق استقلاله في الأبعاد الأخرى وكي يتسنى لنا تحقيق التحرر الفكري والخروج من سجن التبعيَّة للآخر، يجب أن نستيقظ من الغفلة، التي فُرضت على بعض فئات الشعب، لاسيَّما العلماء والمفكرين والمثقفين، وأن نعي هويتنا ومفاخرنا ومآثرنا الوطنية والقومية والثقافية.

وفي مجال التأكيد على أولويَّة التأثير الفكري، يقول روبرت رايلي مدير إذاعة صوت أمريكا إن الطبيعة الحقيقية للصراع اليوم هو صراع المشروعية في عقول وقلوب الناس والرأي العام، وليس صراع القوى العسكرية، إن الحروب تخاض ويتم تحقيق النصر أو الهزيمة فيها في ساحات العقول والقلوب قبل أن تصل إلى ميادين القتال فالعمل على العقل والقلب والفكرة، وهذه هي البداية٠

آلية عمل القوة الناعمة:

عند تعريف القوة الناعمة من خلال السلوك، فإنها ببساطة القوة الجذابة والقوة الناعمة تعتمد أكثر من القوة الصلبة على وجود مفسرين ومتلقين مستعدين ومؤمنين بمشروعية أهدافها أي ترتبط القوة الناعمة باعتناق الآخرين للقيم التي تدعو لها، وتبني رغباتهم وتحولها إلى رغبة داخلية في تفكير المستهدف، كذلك فإن الشخصية الجذابة تمثل طريقة لترسيخ التفضيلات وعلاوة على ذلك فإن الجاذبية كثيراً ما يكون لها تأثير واسع الانتشار يخلق أثراً عاماً فالقوة الناعمة ترتكز على القدرة على تشكيل تفضيلات الآخرين ويمكن تعريف القيم أنها الهيكل المثالي من المبادئ التي ينظر من خلالها الفرد إلى ما يجب أن يكون سلوكه عليه وسلوك الآخرين٠

آليات التغيير هي الوسائل والأدوات التي تستخدمها الوحدات الدولية في تفاعلاتها الديناميكية في النسق الدولي لتحقيق المكاسب والأرباح النية والمستقبلية ولكل بعد دولي آلية معينة يحددها الزمان والمكان بما يلائم الظروف المواتية للوصول إلى الهدف الشامل للاستراتيجيات العليا ومن غير المنطقي القول بأن مثل تلك السياسات تنطبق على جميع الدول فالدول المتقدمة والكبرى هي أقرب ما يكون لاستخدام آليات التغيير لما تملكه من مقومات القوة والقدرة على التأثير وبالتالي توظيف المتغيرات المتاحة لاعتبارات مُسَلم بها فالتغيير مطلباً عالمياً مستمر ولعل أبرز وأكثر التقسيمات تمييزاً في الدراسات الأكاديمية لاسيما في العلوم الاجتماعية لآليات التغيير هي :

آليات التغيير الناعمة اللينة .

آليات التغيير الخشنة الصلبة .

آليات التغيير الذكية (الجمع بين القوتين).

الآلية الناعمة للتغيير تحمل في معانيها الكثير من المتغيرات فمنذ أربعة قرون ، نصح نيكولاى ميكيافيللي الأمراء في إيطاليا بأن يكون المرء مخيفاً أهم من كونه محبوباً ، لكن في عالم اليوم كما يقول جوزيف ناي أن يكون المرء مالكاً لهاتين الصفتين معاً ،لأن كسب العقول والقلوب مهما على الدوام، لأنها القوة المؤثرة انطلاقا من الأفراد والمؤسسات صعوداً إلى مستوى الدولة ، والمعروف أن القوة أساس

للتغير وتأخذ أبعاد كثيرة ولعل أكثر الأبعاد المنتشرة بين متغير القوة هي الرؤية الضيقة من حيث إصدار الأوامر بالقسر والاجبار والإكراه أو التهديد .

ومن الصعب اليوم الاعتماد على القوة الناعمة أوالقوة الخشنة في التغيير الدولي فكلاهما قوة يمكن من خلالهما سلب إرادة الآخرين والسيطرة على مقدراتهم وقراراتهم وثرواتهم فكرياً وثقافياً وبأقل مجهود وأدنى خسائر مادية وبشرية، لكن الفارق كما يقول مورجانثو أن الأدوات أو الآليات الناعمة أخبث الأدوات المستخدمة في فرض السيطرة الاستعمارية وأكثرها ذكاءاً ، لأنها تستهدف العقول والتسلط عليها وغلسها وتغذيتها بما يتفق مع الغاية المرجوة لهدف تلك الوحدة في التفاعلات الدولية.

الحرب الناعمة والقوة الناعمة

منذ الثمانينات،اتخذت الإدارة الأمريكية سياسياً وعسكرياً عنوان الحرب الناعمة بعد الحرب الباردة وبدأت تطبيقها في سياستها الخارجية ويلخص تعريفها أحد منظري الحرب الأمريكان والمدرس في الكليات العسكرية جون مكوللينز بقوله الحرب الناعمة عبارة عن استخدام الإعلام والتخطيط للتأثير على ثقافة العدو وفكره باللجوء إلى تنسيق الجهود بما يخدم حماية الأمن القومي وتحقيق أهدافه بكسر إرادة هذا العدو وقد صدرت في صدد الإستفادة منها العديد من الدراسات و الكتب،

أهمها كتاب جوزف ناي سنة ٢٠٠٤ وتعتمد الحرب الناعمة لتحقيق الاستراتيجيات وسائل تكتيكية منها :

-نفي الشرعية عن بعض العناوين- تغيير المفاهيم والمصطلحات وقيمها من الإيجابية إلى السلبية وبالعكس بحسب الحاجة، مثلاً:لاحظ استخدام الغرب لمصطلحي الإرهاب والمقاومة من أجل الحرية بما يخدم سياساتهم - الإضاءة على بعض العناوين وربطها بالفضائل والقيم كحقوق الإنسان والمرأة -كسر هيبة المفاهيم والأشخاص المحترمين وتسخيفها لدى أي شعب من خلال المقالات والرسوم الكاريكاتيرية والنكتة والأفلام وما إليها

الفرق بين الحرب الناعمة والحرب النفسية

تركّز الحرب الناعمة بأساليبها على الاستمالة والإغواء والجذب، دون أن تظهر للعيان، ودون أن تترك أي بصمات في حين تركّز الحرب النفسية والدعاية على إرغام العدو وتدمير إرادته ومعنوياته بصورة شبه مباشرة وعلنية

إنَّ الوسائط والأدوات المستخدمة اليوم في الحرب الناعمة متوفرة وفي متناول الجميع دون استثناء، ودخلت إلى كل البيوت ٢٤/٢٤ ساعة وعلى مدارها، في حين أنَّ الحرب النفسية توجه بشكل أساسى نحو كتلٍ منظمة ومتراصة ومتماسكة وصلبة، مثل الجيوش والحكومات والمنظمات التي تسيطر وتهيمن بصورة كلية على وعي وميول الرأي

العام فالحرب الناعمة تستهدف الجميع، وفي كل الأوقات، وبوسائل متنوعة وبجاذبية أما الحرب النفسية فتتجه لإضعاف الرأس والقدرة والحكام والموجهين وتماسك الجماعة، فلا يبقى للجماعة قائد مؤثر، ويسقط القائد عند جماعته، ولا يصمد الحاكم أمام الضغوط فيفشل في توجيه الرعية التي تتخلى عنه، وهكذا ٠

هذا الفرق هو الذي يُظهر لنا كم هي قدرة القوة الناعمة على أن تدخل إلى كل تفاصيل حياتنا بدءًا من الأطفال وانتهاءاً بالشيوخ دون تمييزٍ بين الرجال والنساء ٠

ان الله تعالى عرَّفنا على القوة الناعمة منذ بدء الخليقة مع إبليس، عندما ذكر الحوار الذي جرى بينه وبين إبليس، الذي رفض السجود لآدم عليه السلام، فطرده من الجنة، عندها طلب طلباً واحداً من رب العالمين، (قالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) فاستجاب الله تعالى له بإبقائه حياً إلى نهاية الحياة الدنيا، (قالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ * إِلَى يَومِ الْوَقتِ الْمَعْلُومِ)،ثم أعلن إبليس اتجاهه للوسوسة والإفساد والإغواء :(قالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ)، إنَّها إرادة الله تعالى، أن يكون إبليس رمزاً للفساد والانحراف، دون أن يملك السيطرة المادية المباشرة على أحد، فهو يعمل بالإغواء والتزيين والتدليس والوسوسة فلا يقوم

بعمل عسكري، ولا بعمل مادي مباشر، فكل أعماله تدور حول التدليس والزينة والوسوسة ويتحمل الناس مسؤولية الاختيار بأعمالهم، حيث يكون تأثيره على الذين يستجيبون له، أما المؤمنون فلن يستجيبوا له لتمسكهم بطريق الصلاح وإخلاصهم لله تعالى.

من الذي يتأثر بهذه القوة الناعمة الإبليسية عبر التاريخ وفي الحاضر وفي المستقبل؟ قال تعالى :(لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ)، فلا بدَّ من وجود قابلية عند المتلقي، كي يتأثر بهذه التوجيهات والإغراءات التي يقوم بها إبليس لعنه الله قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: ولو أن الحقَّ خلُص من لُبس الباطل لانقطعت عنه ألسن المعاندين، ولكن يؤخذ من هذا ضغثٌ ومن هذا ضغثٌ فيمزجان، فهنالك يستولي الشيطان على أوليائه، وينجو الذين سبقت لهم من الله الحسنى.

<u>الفرق بين الحرب الناعمة والحرب النفسية والدعاية</u>

عرفت الحرب النفسية والدعاية بأكثر من ١٠٠ تعريف، اخترنا منها تعريفين يعبران عن هذه التعاريف للإحاطة والشمول، التعريف الأول هو التعريف الضيق ذا الطابع التقني البحت أوردته الموسوعة العسكرية للحرب النفسية بالقول الحرب النفسية هي مجموعة من الأعمال التي تستهدف التأثير على أفراد العدو بما في ذلك القادة السياسيين والأفراد

غير المقاتلين بهدف خدمة غرض مستخدمي هذا النوع من الحرب والتعريف الثاني للباحث الدكتور فخري الدباغ وهو الموسع بأنها شن هجوم مبرمج على نفسية وعقل العدو سواء كان فرد أو جماعة بغرض إحداث تفكك ووهن وارتباك فيهما وجعلهما فريسة مخططات وأهداف الجهة صاحبة العلاقة مما يمهد للسيطرة عليها وتوجيهها إلى الوجهة المقصودة ضد مصلحتها الحقيقية أو ضد تطلعاتها وآمالها في التنمية أو الاستقلال أو الحياد أو الرفض.

أما أساليب وتكتيكات الحرب النفسية المعروفة تاريخيا فنورد أمثلة عليها: الدعاية ضد معتقدات الخصم / الإشاعة / بث الرعب / الخداع / افتعال الأزمات / أثارة القلق / إبراز التفوق المادي والتقني والعسكري / التقليل من قوة الخصم والعدو / التهديد والوعيد/ الإغراء والإغواء والمناورات/الاستفادة من التناقضات والخلافات / الضغوطات الاقتصادية / إثارة مشاعر الأقليات القومية والدينية / الاغتيالات / تسريب معلومات عسكرية وأمنية وسياسية حساسة عن العدو في الصحافة / الإفصاح عن امتلاك نوعية خاصة من الأسلحة الفتاكة / وغيرها من الوسائل طابعها العام عسكري أو شبه عسكري في حين تعتمد الحرب الناعمة على نفس الأهداف مع اختلاف التكتيكات التي أصبحت تكتيكات ناعمة،فبدلاً من تكتيكات التهديد تعتمد الحرب الناعمة على الجذب والإغواء عبر لعب دور المصلح والمنقذ،وتقديم النموذج الثقافي والسياسي وزرع الأمل بأن

الخلاص في يد دولة معينة، المانحة لحقوق الإنسان والديمقراطية وحريات التعبير وما شاكل من عناوين مضللة للعقول ومدغدغة للأحلام وملامسة للمشاعر، وبدلاً من استعراض الصواريخ أو بث الرعب عبر الإذاعات والمنشورات للفتك بإرادة العدو يتم إرسال أشرطة فيديو أو أقراص ممغنطة أو صفحات للشباب والأطفال والنساء والرجال كل حسب رغباته وبناء على التعاريف المذكورة، لا تعد الحرب الناعمة منهجاً جديداً في مناهج الحرب النفسية بل هي نتاج تطور كمي ونوعي في وسائل الاتصال ، وإفراز طبيعي وحتمي للجيل الرابع من وسائط تكنولوجيا الاتصال والإعلام كما يرى أغلب خبراء الإعلام والمعلومات، وفي التقييم والتشخيص نستنتج بعد المقارنة والمطابقة بين الحرب النفسية والحرب الناعمة أنهما يسيران على خط في الأهداف،ويتعاكسان في الوسائل والأساليب فيتفقان ويشتركان في الهدف لقصد تطويع إرادة العدو ولكنهما يختلفان ويتعاكسان في الوسائل والأساليب ويختلفان في نوعية الأساليب بسبب درجة انتشار أدوات الإعلام لدى الرأي العام.

تحول الحرب النفسية إلى ناعمة: لا تشن الحرب الناعمة للتأثير والدعاية والتلاعب بالرأي العام والإقناع السياسي ولو بدون توفر أدلة صادقة كما كان يعرفها قسم الحرب النفسية والدعاية في وكالة المخابرات المركزية الأمريكية CIA أثناء الحرب الباردة[1] فهذه من

وظائف الدعاية الكلاسيكية التي انتهت استخدامها ولم تعد تجدي نفعاً في عصر العولمة والمعلومات كما صرح جوزيف ناي، لأن توسع وسائل الإعلام وانتشارها بين أيدي الجميع وظهور لاعبين من غير الدول عدل مفهوم الصدق في الخطاب السياسي للدول، ومنع احتكار الدول للصدق هذا، مما أدى إلى القفز نحو اتجاهات ووظائف جديدة أنتجت الحرب الناعمة بحيث أصبحت وظائفها تقوم على تشكيل التصورات العامة وبناء بيئة سياسية ملائمة لترسيخ قواعد السياسات المطلوب تثبيتها وتمريرها والتسويق لها ونزع الشرعية والمشروعية والصدق عن الخصم وتغيير النظام والقيادة لدى الخصم وقلب الحقائق وتحويل نقاط القوة إلى نقاط ضعف ومن فرص إلى تهديدات.

كل هذه الوظائف لم تكن معهودة بهذا التركيز والتكثيف كما هي اليوم، وهنا تفترق الدعاية والحرب النفسية عن الحرب الناعمة فالحرب الناعمة لا تعد منهجاً جديداً في مناهج الحرب النفسية والدعاية، بل تطور في الوظائف ناجم عن تطور وسائل ووسائط الاتصال والإعلام، بل يمكن اعتبار الحرب الناعمة إفرازاً طبيعياً وحتمياً مرتبطاً بسعة انتشار وتوسع الجيل الرابع من وسائط تكنولوجيا الاتصال والإعلام

١- ارث من الرماد تاريخ CIA ص ٧٩٢

openkandil.com

الفضائيات / أجهزة الاتصال الخليوية الرقمية / مواقع وصفحات الإنترنت / شبكات التواصل الاجتماعي.

فالحرب النفسية والدعاية تشترك مع الحرب الناعمة في الهدف أما في الأساليب فتركز الحرب الناعمة على الاستمالة والجذب بدون أن تظهر للعيان وبدون أن تترك أي بصمات، في حين ترتكز الحرب النفسية والدعاية على إرغام العدو وتدمير إرادته ومعنوياته بصورة شبه مباشرة وعلنية كما يختلفان في كمية ونوعية الوسائل المستخدمة، حيث تعاظمت وتوسعت الأدوات الإعلامية لدى الرأي العام في الوقت الراهن.

obeikandl.com